نصيب الســـودان

فى ثقافتنا المدرسية

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

لا أود أن أعتب فى هذه الكلمة على الماضى ؛ فقد انقضى بخيره وشره ، ولكنى أنبه إلى حاضر يختلف فى طبيعته واتجاهاته ، وأشير إلى مستقبل قريب يتطلب منا العمل الحاسم السريع . أما الحاضر الذى اختلف ، فمرد اختلافه إلى أننا قد نظرنا الآن إلى السودان نظرة جد وحزم ، أوضحت أمامنا المسالك ، بعد أن التوت علينا أزماناً . وأما المستقبل القريب ففيه الأمانة التى ارتهنت بها مصر لشباب الوادى جميعاً ، وهى تهدف من ورائها أن يرتبط الشعبان ، وأن يلتقيا معاً على الفهم الواضح الصحيح ، والمعرفة الوثيقة ؛ ليعيشا معاً فى ظل الإخاء والوئام . ولا أحسبنا واصلين إلى ما نبتغى ، إلا إذا سعينا إلى هذا المستقبل على علم صحيح بما فى الجنوب من معالم وأحداث ، وثقافة وعادات ؛ ولهذا فقد رأيت عند أوبتى من السودان فى ديسمبر الماضى ، أن أذكر وزارة المعارف بهذه الحقيقة ؛ لتأخذ الأهبة ، وتتحفز للعمل ، فبعثت إليها بتقرير ، أوضحت فيه ما يجب أن تعمل حيال الاتجاه الجديد ؛ ولكنى عدت فخشيت أن تطوى الوزارة هذا التقرير فلا تفيد منه ، فيظل شباب الوادى فى حيرة لا تنتهى ، ونظل كذلك بعيدين عن واقع الحياة الحاضرة وبوادر الحياة المستقبلة ؛ فرأيت أن أنشر على صفحات الرسالة الغراء بعضاً من هذا التقرير ؛ لأنه — على ما أعتقد — ضرورة يجب الأخذ بها فى سرعة واهتمام :

أولا :

لا يزال الطلبة فى مدارسنا المصرية يجهلون الضرورى من أحوال السودان ؛ فهم لا يعرفون من تاريخه إلا القليل ، ولا يدركون من طبيعته وتياراته السياسية وحياته الاجتماعية ، إلا صوراً ضئيلة باهتة لا تغنى ولا تفيد .

هذا هو منهج الجغرافيا ، لا يلقى على بلاد السودان ضوءاً واضحاً ، يبصر التلاميذ بما فيها ، وإنما هو إيجاز مخل ، لا يكاد الزمن يمضى عليه ، حتى يذهب من الأذهان ، لضآلة أثره وقلة غنائه . وهذا هو التاريخ ، وهو مصدرهم لتفهم الشعب وإدراك نزعاته ، لا يتناول من أحداث السودان إلا القليل مما يأتى عرضاً ، على حين يعنى المنهج بدراسة الحوادث فى بعض الممالك الأجنبية دراسة تفصيلية . وهذه هى النصوص الأدبية لا تلم فى أية مرحلة من مراحلها بأبيات لشاعر سودانى ، وفى هذا ما فيه من غمط لحقوق شعراء طالما رددوا صوتهم عالياً بحب مصر والمصريين .

لقد حان إذاً أن نحقق للمعارف رغبة كريمة ، طالما جاشت فى صدور الكثير من المصريين والسودانيين ، فتولى الدراسات السودانية بالمدارس المصرية العناية اللائقة بها ؛ حتى يعرف الطالب المصرى عن جنوب الوادى ما يدركه عن شماله ، وعندئذ فقط تتأكد الروابط ، وتشتد الصلات ، وتبلغ الغاية التى تصبو إليها من التئام الشعب ، وتوثيق العرى .

من الخير أن ننظر الآن فى مناهج الجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية نظرة جديدة ، قوامها العناية بما فى الجنوب من تراث وثقافة ونظم وشؤون . ومن الخير كذلك أن تنتظم النصوص الأدبية طرفاً من شعر الهيجانى يوسف بشير ، والعباسى ، وأحمد صالح ، وعبد الله عبد الرحمن وغيرهم ؛ فقد جاهد الكثير منهم بانتاجهم القيم فى سبيل الإنسانية والمروءة والوطنية ، وأصبح من حقهم علينا أن نعنى بأشعارهم اعترافاً منا بهذا الجميل .

ثانياً :

مما لا شك فيه أن الصحف مرآة تنعكس عليها صور الحياة الحاضرة ؛ فهى التى تحمل للقراء الآراء والاتجاهات ، وتوضح ما يجرى فى البلاد من أحداث . ومن المؤسف حقا أن القراء فى الشمال قد تجاهلوا الصحف التى تصدر فى الجنوب ، فخفى عليهم بعض أحواله الراهنة ، وكان من الطبيعى أن يجهل الشبان المتعلمون بعض أخبار الجنوب وأحداثه . أقول ذلك وأنا أعلم أن صحف السودان لم تكتمل بعد نهضتها ، ولا تزال تجاهد فى سبيل الرقى المنشود ، ولكنها على أى حال تلقى الكثير من الأضواء على

الحياة السودانية الحاضرة . ومن الواجب — إذا أردنا أن نبصر التلاميذ بما يجرى فى الجنوب — أن تشترك كل مدرسة ثانوية فى صحيفتين على الأقل من صحف السودان ؛ إحداهما معتدلة ، والأخرى من الجرائد الاتحادية ؛ ليطلع عليهما الطلبة ، أو تقوم الجماعة الأدبية فى المدرسة بتلخيص الأخبار المهمة فيهما ، وتسجيلها فى مجلة حائط ؛ لتكون ثمراتها فى متناول الجميع .

ثالثاً :

لا يجهل السودانيون أن طائفة من علماء مصر وأدبائها ، قد عنوا بشؤون السودان؛ فألفوا فى بعض نواحيه كتباً قيمة ، ولا يجهلون كذلك أن بعض السودانيين قد طرقوا هذا الباب ؛ فأصدروا بعض الكتب فى السياسة ، واللغة السودانية العامية ، والتاريخ والأدب . ومن الواجب فى وقتنا الحاضر أن تتولى إحدى اللجان دراسة هذه الكتب جيداً ؛ لتزود بالصالح منها مكتبات المدارس ، وستجد — ولا شك — من كتب إخواننا السودانيين طائفة تصلح للاطلاع الحر فى المدارس الثانوية ؛ ستجد كفاح جيل ، وديوان إشراقة ، وديوان العباسى ، والعربية فى السودان ، وتاريخ مكى شبيكة ، وشعراء السودان ، والطريق إلى البرلمان ، وغيرها من الكتب

رابعاً :

لست أريد الانتهاء من هذه الكلمة الموجزة قبل الإشارة إلى ناحية مهمة تتصل بالروابط الثقافية بين الشمال والجنوب ؛ فقد درجت المعارف فى العهد الأخير على إيفاد طائفة صالحة من العلماء والأدباء يلقون المحاضرات فى جنوب الوادى ، وهى سنة محمودة ، وخطة حكيمة تستحق التقدير ؛ فقد شهد الناس هناك ألواناً ممتازة من معالجة الموضوعات على اختلاف أنواعها فقابلوها بالشكران والتقدير ، وتأكدت بينهم وبين إخوانهم المحاضرين الصلات الثقافية والروحية

حدث هذا فعلا فى الخرطوم وأم درمان ، فأفاد منه أهل هاتين المدينتين ، ولكن سكان المدن الأخرى لم يسمعوا إلا تلخيصاً لعدد ضئيل من المحاضرات فى الإذاعة ، فكان لسماعهم لهذا التلخيص جانبان : جانب أسف ؛ لأنهم لم يجدوا من العناية ما وجده سكان المدينتين الكبيرتين ، ففاتهم الكثير من الفوائد . وجانب استبشار ؛ لأنهم أدركوا فى هذا التلخيص من الفوائد ما لم يدركوه من قبل ، ووددوا جميعاً لو طوف هؤلاء المحاضرون فى المدن الكبيرة الأخرى كدنقلا وكسلا والأبيض وعطبرة ، يحملون إلى الناس هذه الثقافة العالية الممتازة . ووددوا ذلك ويودون مستقبلا أن تتحقق رغبتهم ؛ لتعم الفائدة ويصيب منها القريب والبعيد

وبعد ؛ فهذا رأيى أدلى به ، موقناً أن الحاجة ماسة إليه فى وقت آمنا فيه وآمن الناس أن الشعب الذى يعيش على ضفاف النيل من منبعه إلى مصبه شعب واحد يجب أن يلتقى تحت تاجه ، ويتحد فى سياسته وثقافته ، وأرجو أن تبذل المعارف جهدها لتسهم — كما أسهمت من قبل — فى تحقيق ما تبقى لها نحو غايتها الكريمة

أحمد أبو بكر إبراهيم

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى للرحلات الثانية من كتاب

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر فى الباكستان

ثمن الأول ثلاثون قرشا والثانى أربعون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة